المرأة في مملكة حلب (يمحاض)
في القرن الثامن عشر ق.م.

د. فيصل عبدالله

جامعة دمشــق

ان كتابة تاريخ المراة السورية في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، يعتمد بصورة اساسية على مصادر محفوظات مدينة ماري (قرب بلدة ابو كمال حاليا) ومحفوظات مدينة آلالاخ (قرب مدينة انطاكية حاليا) . ونمتلك اليوم ما يكفي من المعلومات حول نساء قصر زمري ليم في ماري لا سيما بعد صدور المجلد الرابع من السلسلة الفرنسية الجديدة(٢) التي تعنى بدراسة محفوظات ماري . ففي هذا المجلد نصوص تقدم لنــا معلومات وافرة حول ما يسمى ((حريم قصر ماري)) وكذلك مراسيم الزواج ،والزواج الدبلوماسي ، وما يمكن استنتاجه من عادات وتقاليد مازال الكثير منها مستمرا عبــر العصور حتى يومنا الحاضر .

وفيما يتعلق بمملكة حلب (يمحاض) بالذات ، لدينا اليوم نصوص حصلنا عليها بعد حفريات مدينتي ماري والالاخ ، تعكس بصورة غــير مباشرة وضع المراة الحلبيــة ذات الاصل الملكي ، وبعض مظاهر العادات والتقاليد المتعلقة بالزواج .

ومن الجدير بالذكر ان ما نحصل عليه من معلومات تاريخية من تلك النصوص، ليس الا جزءا من تاريخ المجتمع الاشوري ـ البابلي ، الذي تشكل بعــد الهجرات البدوية الامورية في نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد ، فهؤلاء الذين اجتاحوا ، انطلاقا من البادية العربية السورية ، سورية والعراق القديمـين ، استولـوا تدريجيا على السلطة فيهما ، واقاموا ممالكهم الشهيرة(٣) .

اعد هذا البحث للمؤتمر الدولي الثالث والثلاثين لعلماء الاشوريات ، باريس ٧ـ١٠ تمـوز ١٩٨٦، وموضوعه ((المراة في الشرق الادنى في العصور القديمة)) .

ان الدراسات المستمدة من نصوص مملكة ماري تعكس بوضوح العلاقات المتينة بين هذه الاخيرة ومملكة يمحاض . وعاصمتها حلب(٤) ، كما كانت تسمى في ذلك العصر . وقد توطدت هذه العلاقة منذ عودة زمري ليم الى ماري واسترجاعه مملكة أبيه يخدون ليم التي اغتصبها الاشوريون(٥) . بدات تلك العلاقة بعد زواج « دبلوماسي » شهير في تاريخ مدينتي ماري وحلب ، ذلك الزواج الذي جمع بين الملك زمري ليم الشهير وشيبتو ، الاميرة الحلبية ابنة ياريم‌ليم ملك حلب / يمحاض ، ذائع الصيت في تلك الايام . وتجدر الاشارة هنا ان معطيات جديدة أثبتت ان ذلك الزواج قد تم بعد تسلم زمري ليم السلطة في ماري، وليس قبلا ، كما كان مفترضا من قبل الاستاذ جورج دوسان(٦).

ان قصة هذا الزواج هي اليوم أكثر وضوحا بعد اكتشاف ملف من النصوص المسمارية سينشرها قريبا الاستاذ جان‌ماري دوران(٧) ، ويشرفني ان اكون أول من يقدم محتوى تلك النصوص الهامة في هذا البحث .

يتضمن الملف الجديد من النصوص المسمارية مجموعة رسائل مكتوبة على الواح فخارية من حجم صغير بلغة اكادية ولهجة مارية غربية (نسبة الى ماري) ارسلت من قبل بعثة ملكية موفدة من مدينة ماري على الفرات الاوسط ، الى مدينة حلب حاضرة مملكة يمحاض الامورية في سورية الشمالية براسها كل من أصقدوم وراشيا(٨) ، ومهمتها الوصول الى قصر الملك الحلبي ياريم ـ ليم وطلب يد ابنته الاميرة شيبتو زوجة لزمري ليم ملك ماري . وكانت البعثة تزود زمري‌ليم برسائل عن أخبارها وهي في طريقها الى حلب .

يتضمن هذا الملف من الرسائل التي بين ايدينا النصوص التالية ، مرتبة حسب التسلسل الزمني لارسالها الى بلاط ماري من قبل بعثة ملك ماري وهي في طريقها الى حلب :

اولا : في الطريق الى حلب :

ـ رسالة البعثة عندما كانت على مشارف مدينة تيلازيبوم(٩) ، التي يفترض ان تقع بين ماري وايمار (مسكنة حاليا) .

ـ رسالة ارسلت من مدينة ايمار(١٠) .

ـ رسالة تتضمن معلومات حول عملية الاستعجال بمراسيم الزواج(١١).

ـ رسالة تتعلق بزيارة بلاد يمحاض(١٢) .

ـ رسالة تتضمن أخبارا من البلاط الحلبي(١٣) .

ـ رسالة تتعلق بمسألة سكن العروس شيبتو في ماري(١٤) .

ثالثا واخيرا : العودة الى ماري :

ـ رسالـة من ايمار(١٥) .

ـ رسالة بعد المرور بحصن دور يخدون ليم(١٦) .

يبدو من خلال الرسائل السابقة أن اصقدوم وراشيا كلفا ، في السنة التالية لعودة زمري ليم الى عرش ابيه ، بمهمة طلب يد اميرة حلبية . وتلك المهمة الدقيقـة تحتاج الى تدخلات الحاشية ، وخاصة وزير البلاط المسمى شيمروم ، الذي يعلن للبعثة المارية بعد مقابلة الملك ياريم ـ ليم : امراة مقابـل امراة ، لانـه كان يرغب بالحصول على مغنية من ماري تسمى كرناتوم .

ونلاحظ من خلال وثائق المجلد الرابع لدراسات ماري(١٧) متعددة الجوانب ، ومن خلال وثائق المجلد السادس والعشرين التي ستنشر قريبا ، أن طرائق الزواج السوري وعاداته تبدو أكثر وضوحا ، على الاقل ، مما كان في مدينة ماري.

ان « كلمة نديتوم »(١٨) الاكادية لم تعـد تعني هديـة او تقدمـة ، وانمـا « الطرحة »(١٩) ، وهي العطايا التي تحملها العروس من بيت ابيها عندما تغادره الـى بيت الزوجية .. اما ما يقدمه الزوج من جهته فهو يسمى بالاكادية « ترخاتوم »(٢٠) والترجمة الفرنسية للكلمة هي « عطاء مقابل »(٢١) ، أي جهاز العروس من عريسها. ولا ندري هنا اذا كانت الكلمة الاكادية ذات علاقة بكلمة «طرحة» .

ان النصوص المنوه عنها هنا ، لا تنبئنا عن **النديتوم** أي هدايا شيبتو من بيت ابيها ، ولكن نصا(٢٢) مكتشفا من قبل يسجل لنا هدايـا العريس الى عروسـه . ونستعرض الان المعطيات المستمدة من ملف الزواج هذا :

- تقدم لنا البعثة الموفدة من قبـل ملك ماري المثـل الاقـدم في تاريـخ العادات والتقاليد الانسانية على ما يسمى الزواج بالوكالة او التوكيل .

● تمت مراسيم الزواج في قصر الملك الحلبي ،أي في بيت العروس ، وهو مايجري في مجتمعنا في الوقت الحاضر . وهذا شاهد على استمرارية تقاليد هذا المجتمع برغم التبدلات السياسية واللغوية.

● ان موفدي زمري ليم هم الذين وضعوا الغطاء على راس العروس شيبتو ،وبذلك نستطيع الاستنتاج مع جان ماري دوران(٢٣) ان الزوج او وكلاءه هــم الذين يضعون الغطاء على رأس العروس .

● تضع المراة المتزوجــة الغطاء على راسها وهو ما يسمى بالاكاديــة كتموم(٢٤) ، ومن الواضح هنا أن المصدر « كتم » بالعربية يفيد في المقارنة اللغوية .

● يشير جان مــاري دوران في ملفه الــى ان النصوص تــدل على ان العاهــرات المقدسات وحريم « حارمتوم »(٢٥) المعابد في سورية ، في ذلك العصر ، **كن يضعن الغطاء على رؤوسهن** ، على عكس ما هو شائع .

● تدل نصوص اخرى غير منشورة ، كما يشير الاستاذ دوران ، ان عملية **الطلاق** في سورية كانت تتم بصورة رئيسية **من قبل الزوج** ، وعلامتها اقدامه على خلع معطف زوجته او تمزيقهبحضور شهود . الا أنه كان للزوجة أيضا، على ما يبدو، الحق بالمبادرة بقطع علائق الزوجية .

والربط بين هذه المعطيات الاجتماعية وعاداتنا وتقالدينا اليوم لا يحتاج الى مزيد من التفاصيل .

● نستطيع الاستنتاج أيضا أن تقاليد الزواج السوريــة كانت تقضي بأن تعيشــ الزوجة ، التي تتحدر من اصل ملكي ، تحت سقف واحد مع زوجها .

● واستنادا الى نص غير منشور(٢٦) ، كانت والدة ملك حلب ياريم ليم هي السيدة سومو ــ نابي(٢٧) ، ونفترض من جهة اخرى انها زوجة أول ملك لحلب سومو ــ ابوخ المعروف . وكما سنرى فيما بعد ، فإن امرأة حلبية من نسب ملكي تحمل الاسم نفسه ، مذكورة في نصوص مدينة آلالاخ التابعة لملكة حلب .

● ان دور الملكة الام في المملكة الحلبية غير واضح ، ولكن الكثير من الاشارات تدعو للاعتقاد أنه ذو أهمية بالغة .

● ان الملكة الزوجة ، أي زوجة ياريم ليم المسماة جاشيرا(٢٨) ، قد ارتحلت مــع زوجها في ارجاءالبلاد وفق مايدل عليه نصان(٢٩) بهذا الخصوص ،كماكانت تدبر القصر في غياب زوجها(٣٠) .

● تظهر لنا رسالة(٢١) من زمري ليم الى حماته جاشيرا ان عادة اتخاذ أكثر من زوجة ، أو عشيقة ، هي من العادات المعروفة في مجتمعنا منذ ذلك الوقت ..

● نشير في النهاية الى مهمات كانت تناط بالمرأة في ذلك العصر ، وهي العناية بالمرضى والاطفال . فهناك نص(٢٢) يتحدث عن أكثر من امراة رافقن طفلا الى مدينة حلب بأمل شفائه على يد اله المدينة أدد وكهنتها . ويرجح أن هذا الطفل هو ابن احد المسؤولين الكبار في ماري.

اذا ما تتبعنا بحثنا هذا حول اوضاع المرأة في سورية الشمالية، في نصوص مدينة آلالاخ ، فأننا نجد نصا مؤرخا في السنة التي « كان فيها **امينكوم** ملكا على حلب ، عندما اتخذ ابنة حاكم مدينة ابلا زوجة لابنه »(٢٣) . وهناك نصان(٢٤) يتحدثان عن رحلة ملكية حلبية الى ابلا بمناسبة ذلك الزواج .

ولابد من الاشارة هنا الى ان زواج الملوك كان وسيلة لتدعيم الروابط السياسية ، وقد تم من قبل عدد من هذه الزيجات بين ملوك وحكام الممالك الامورية المعاصرة في ذلك الوقت(٢٥) .

لدينا ، من جهة اخرى ، الكثير من النصوص المكتشفة في مدينة آلالاخ تبرز دورا مهما للمرأة ، بخاصة ذات النسب الملكي ، فهي تستطيع ممارسة التجارة لحسابها الخاص ، وتستطيع ان تكون شاهدا ندا للرجل ، ولها أرثها كما للرجل .

فهناك نص اداري(٢٦) ، يشهد بحضور الملك وأوامره توزيع ميراث بين افراد العائلة .. الملك هو **نقمي ــ ايبوخ** الملك الثالث لحلب (في نصوص آلالاخ) ، حيث يوزع ارثا خاصا بزوجة رجل مسمى **أمورابي** ، وقد تم توزيعه بين ابنها**أبايل** وابنتها **بيتاني** . وبالرغم من جهلنا للشخصيات التي تحمل هذه الاسماء الا انه من المحتمل ان يكونوا من أعضاء العائلة الملكية أو من اقربائها ، فهم في النتيجة يحصلون على الارث وهو قرية اسمها سوخاراوا ، مع كل الاحترام والتبجيل الواضحين في النص . ونص اخر(٢٧) يذكر أسماء أعضاء في العائلة الملكية بينهم امرأة تدعى **تاكي اشخارا** ، يعتقد انها زوجة الملك نقمي ــ ايبوخ وقد انجبت له عددا من الاولاد .

أما الوثيقة(٢٨) المؤرخة في اثناء حكم **اركبتوم** فتذكر اسم امراة تسمى**سومو ــ نبي** (اسم النبي) وهي تقرض الفضة (وفق أوزان مدينة حلب) الى افراد من قرية نيراش . وتقوم هذه المراة بأعمال مماثلة في نصوص اخرى ، وتذكر في النهاية كشاهد(٢٩) . ويعتقد وايزمان مترجم نصوص آلالاخ ، بأن هذه المرأة هي شقيقة حاكم آلالاخ**اميتكوم**(٤٠) .

اخيرا : اذ اردنا ان نجمل معطيات هذا البحث بخلاصة قصيرة عن المراة الحلبية السورية والعربية بعامة في ذلك العصر ، نجد :

● ان المراة ، تشارك في الحياة الاجتماعية والسياسية ، وتعمل في التجارة ، ولكن من وراء حجاب على ما يبدو .

● اننا لا نعلم الا القليل عن حياة النساء في معابد سورية ولكننا نعتقد انها كانت كحياة غيرهن من النساء في معابد بلاد الرافدين ، التي كانت تضم هيئةكهنوتية نسائية هامة خاصة في معبد الاله ادد / هدد ، الذي كان مبجلا في كل ارجاء المنطقة الرافدية .

● اخيرا ، ما قدمته لنا تلك النصوص وغيرها مما لايزال غير منشور ، وقيد الدرس والتمحيص ، يدل بصورة قاطعة على اهمية المملكة الحلبية ، ويحفزنا أكثر فأكثر على التعرف على قصرها في ذلك العصر . وأهم من هذا هو الوصول الى المحفوظات الملكية التي يجب ان لا تقل أهمية عن محفوظات ماري أو ابلا .

(١) عنوان البحث بالفرنسية
La Famme dans le royaume d'Alep au 18e siécle av.J.C.

(٢) هذه السلسلة تحمل عنوان :
M.A.R.I. : Annales de Recherches Interdisciplinaires, Paris

(٣) من اجل النصوص المسمارية الاكادية والدراسات المتعلقة بهجرة الاموريين وبهجرات القبائلالبدوية الاكادية التي سبقت هذه الهجرة ، وجميع المصادر المتعلقة بهذا الموضوع ، وبموضوعهجرات البدو القدماء انسال العرب ، انظر : فيصل عبد الله :
Les Relations internationales entre le royaume d'Alep / Yamhad et les villes de Syrie du Nord « -1800 à 1594 av . J.C. » p. 23 et suivant; P. 189 n° 90 - 114 .

اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة باريس

(٤) ان اقدم ذكر لاسم يمحاض ياتي في كتابات يخدون ـليم التاسيسية المؤرخة في نهاية القرنالتاسع عشر قبل الميلاد ، وياتي اسم مدينة حلب في التاريخ نفسه تقريبا ، ولذا فاننا نعتبر ان مدينة حلب هي اقدم مدينة مازال مسكونة منذ ذلك التاريخ حتى عصرنا الحاضر، محافظة على اسمها الاكادي على مر العصور ، من اجل تفصيلات حول هذا الموضوع ، وحول كتابة الاسم بالمسمارية، انظر المرجع السابق ، ص٤٧.

(٥) تؤرخ فترة حكم زمري-ليم في ماري بين ١٧٨٠-١٧٥٩ ق.م .

(٦) انظر :
Čharpin, D. et Durand, J.M., Origine de Zumri- Lim, colloque CNRS, 620, Strasbourg, 1983.

(٧) صينشر هذا الملف في المجلد السادس والعشرين من محفوظات ماري الملكية :
Durand, ARM 26

(٨) يكتب الاسمان بالمقطعية الاكادية : Ri-Si-ia; As-qu du-um

انظر ايضا : ARM XVI/I

(٩) الرسالة تحمل الرقم (A. 711)

ويكتب اسم تيلازيبوم هكذا : Tillazibum

(١٠) A. 2369; Imar

(١١) A. 2627

(١٢) A. 414

(١٣) A. 3627

(١٤) A. 2679

(١٥) M. 5418

(١٦) A. 973

(١٧) M.A.R.I.4

(١٨) تقدمة ، هدية midittum, Present :

وهي الترجمة المقترحة سابقا .

(١٩) وبالعامية (دوطا) وبالفرنسية dot

(٢٠) terhatim

(٢١) ,contre-don

(٢٢) النص يحمل الرقم M. 5677

(٢٣) ان معطيات هذه النصوص مستوحاة من ملف الزواج الذي اعده الاستاذ جان ماري دوران ولكنها لاتنطوي على محاولات لربطها بمجتمعنا المعاصر .

(٢٤) Kuttumum

(٢٥) بالاكاديـة Harimtum

(٢٦) ويحمل الرقم A. 2617

(٢٧) Sumu - **na-bi**

(٢٨) Gasera

(٢٩) ARMT 23, 535, 536

(٣٠) انظر : ARMT 23, p. 472

(٣١) انظر : ARMX 139

(٣٢) RES 1939, p. 68

(٣٣) نص مدينة الالاخ AT+35 حيث يحمل تلك العبارة في نهايته .اسم الملك يكتب بالمقطعية المسمارية: Ammitakum اما مدينة ابلا فتكتب بمقطعين Eb - la وقد اكتشفت في ١٩٦٨ جنوب حلب .

(٣٤) AT+269; 235

(٣٥) تشير بصورة خاصة الى زواج جمع بين يسمع-ادد ابن شمش ادد الاول مؤسس المملكة الاشورية في نهاية القرن التاسـع قبل الميلاد ، وبين ابنة ملك قطنة (قرب مدينة حمص حاليا) وهو زواج ضجت له البادية السورية ، كمايبدو وصفه في النصوص . انظر المصـدر المذكور في الحاشية رقم (٣) ص ٥٧،

(٣٦) النص هـو AT. 7

والاسماء هي : الملك Niqmi - Epuh

رجل بدون مرتبة اجتماعية Am-mu-ra-pi

رجل بدون مرتبة اجتماعية Ab-ba-An/EL

امراة بدون مرتبة اجتماعية Bi-it-ta-at-ti

Suharawa قرية يفترض ان تكون بجوار الالاخ قرب انطاكية.

(٣٧) AT+409 Taki-Ishara

(٣٨) AT+33 Airrase Sumunnabi Irkabtum ملك حلب

(٣٩) AT+404

(٤٠) AT+34 Amitakum

Wisman, Donald, **The Alalakh Tablets**, London, 1953.